أحاديث في السيرة النبوية ١

لِماذا لَمْ يُعبَدْ رسول الله

د. محمد عبده يماني

شركة دار القبلة
مؤسسة علوم القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م

دار القبلة للثقافة الإسلامية

المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب: ١٠٩٣٢ - الرمز: ٢١٤٤٣ - ت: ٦٦٥٢٤٠٦ / ٦٦٥٩٩٥١ / فاكس: ٦٦٥٩٤٧٦

مؤسسة علوم القرآن

دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء ضرب وصدري - ص.ب: ٤٦٢٠ - ت: ٢٢٤٩٩٠ - بيروت - ص.ب: ١١٣/٥٢٨١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، وأرسـله للنـاس رحمـة ، واختـصـه بأشرف الخصـائص ، وأيده بأعـظم الـدلائـل ، وزينـه بأكـرم الشـمائـل ، وأعـطاه الشفـاعـة العامة بجميع الخلق ، والشفـاعـة الخـاصـة بأمته ، وآتاه الوسيلة من الجنة ، والحـوض والكوثر ، ووعده بأن يعطيه يوم القيامة حتى يرضى . . وقرن اسمه إلى اسمه ورفع الله ذكره .

فلا يذكـر بالوحدانية إلا شهد له بالرسالة ، وجعل العبـودية أشرف صفـاته ، وأمره بعبادته منذ بعثته حتى وفـاته ، وكلفه من أعبائها ما لم يكلف مثلها أحداً من رسله ، وخـاصـة أوليائه ، فقال في خطابه : ﴿ يا أيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المزمل قم الليل إلا قليلاً . نصفه أو انقص منه قليلاً . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً ﴾[1] ، ودعاه إلى التهجد فقال : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[2] ، وقال : ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾[3] .

صلى الله عليه وسلم وبارك كثيراً كثيراً ، وعلى إخوانه الأنبياءِ والمرسلين ، وآله وأصحابه أجمعين : وبعد ، فإن أصل هذا الكتاب مقالات ثلاث كنت قد نشرتها في الصحافة اليومية ، وقد عدت إليها فأجريت فيها بعض التعديلات والزيادات .

وسوف يرى القارىء الكريم في هذا الكتاب استحالة أن يعبد رسول الله ﷺ في حياته أو بعد وفاته .

---

(١) المزمل : ١ / ٣ .

(٢) الإسراء : ٧٩ .

(٣) الإنسان : ٢٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكيف يمكن أن يعبد والله تعالى يقول في خطابه : ﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ ، ويقول له : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ .

وكيف يمكن أن يعبد رسول الله ﷺ ، وكتاب الله تعالى يقول له : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرلا بعبادة ربه أحداً ﴾ .

وكيف يمكن أن يقع ذلك وما عاش على الأرض إنسان عرف الناس من أصله ونسبه وحياته ونشأته وشبابه وأخلاقه وأعماله وزواجه وإنجابه ، كما عرفوا عنه قبل بعثته .

وكيف يمكن أن يعبد رسول الله ﷺ وما عاش على ظهر الأرض نبي عرف الناس عن بعثته ودعوته وما لقيه من قومه ، وما أظهره من صبر ومصابرة حتى نصره الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معشار ما عرف الناس عنه نبياً كريماً .

وكيف يمكن أن يعبد رسول الله ﷺ وقد كان يقوم الليل في عبادة الله حتى تورمت قدماه ، ويبكي حتى يسمع لصدره أزيز ، وحتى تبلل دموعه لحيته ومكان سجوده ؟ وكيف يكون ذلك وكان يقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبده فقولوا : عبد الله ورسوله » .

إن الإطراء الذي نهى عنه هو إطراء النصارى الذين غلوا في المسيح عليه السلام فقالوا : عيسى ابن الله ، وقالوا : إن الله هو المسيح بن مريم ، وقالوا : إن الله ثالث ثلاثة ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أما تعظيم رسول الله ﷺ وتفخيمه والثناء عليه فهو واجب على أمته ، دعا الله إليه المؤمنين فقال تعالى :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾[1] .

والتعـــزير والتـوقـير هو النصر والإجـلال والتعـظيم والتفخيم بالاصـطلاح اللغـوي الذي ذهب إليه علماء اللغة والتفسير ، ولو كان هذا يفضي إلى عبادته ما ارتضاه الله عز وجـل لعباده ودعاهم إليه ، وفي القرآن الكريم آيات كثـيرة تأمـر بحسن التـأدب في مخاطبته ودعوته ومناداته ومجالسته ، وعندما أراد الله عز وجل أن يدعو عباده إلى الصلاة والسلام عليه بدأ ذلك بنفسه تعظيماً له وتفخيماً ، وثنى بمـــلائكـة قدسـه فقـال جل جلالـه : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾[2] .

---

(١) الفتح ٩ .

(٢) الأحزاب ٥٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وسلم تسليماً كثيراً .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك وتقبله مني إنك أنت السميع العليم .

د . محمد عبده يماني

١٥ / ١ / ١٤١٥هـ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعث الله نبيه محمداً ﷺ بآخر رسالاته ، وأرسله رحمة لجميع خلقه ، وآتاه القرآن ومثله معه ليكون للعالمين نذيراً ، وجعله أماناً للناس ، ونعمة من أعظم نعمه على عباده ، وشمساً مشرقة يستضيء بها السالكون على طريق الإيمان إلى آخر الزمان . . . إنه الرسول الرحمة ، والنبي القدوة ، والسراج المنير الهادي بإذن ربه إلى صراط مستقيم ، وحاشا لله أن يجعله فتنة للناس ، وقد جعله رحمة للعالمين .

ومن الظواهر المهمةوالكرامات المشهودة لرسول الله ﷺ أنه لم يعبد أبداً لا في حياته ولا بعد مماته ، فسبحان من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أكـرمـه وكـرمه ، وختم به رسالات السماء إلى الأرض ، فكان الخاتم وكان الهادي إلى صراط الله المستقيم ، وهو ـ كما وصفه ربه ـ بالمؤمنين رؤوف رحيم .

حياتــه الشــريفة :

فقـد كانت حياتـه واضحة معلومة منذ ولادته وحتى وفاته وكلها سيرة عطرة معروفة التفاصيل كريمة الأصول ، لم يعبـد فيها أحداً غير الله فكان قدوة الأمة في التوحيد ومثلاً يحتذى في العبودية لرب العالمين ، وكذلك لم يدع إلى تعظيم نفسه أو عبادتها وإنما كان معلم التوحيد ورسول الإخلاص للواحد الأحد ، ولهذا فإن الله تعالى قد حفظه من الشرك ، فلم يعبد أحداً غير الله قبل أن يبعثه ، فلما بعثه كان أول ما دعا إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده الله ورسوله .

ولا شك أن محمـداً ﷺ ، ولـد في ضوء الشمس ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فسيرته معروفة في كل أطوار حياته : من ولادته وحتى وفاته ، في ولادته ، وفي طفولته ، وفي نشأته ، وفي زواجه وفي تعامله مع الناس قبل البعثة وبعدها ، في مكة ، وفي هجرته إلى المدينة ، وبعد هجرته وفي هدايته وتعليمه ، وفي غزواته وفي وفاته .

وفي كل هذه الأطوار من حياته ، كان مثالاً للعبد الصادق في عبوديته ، نعم كل الأنبياء كانوا كذلك ولكن لم تعرف حياتهم التفصيلية بهذا الوضوح والدقة والتفصيل والتوثيق .

بشر مثلكم :

فمحمد ﷺ ولد من أبوين كريمين هما : عبد الله بن عبد المطلب ، وآمنة بنت وهب ، كما يولد البشر ، وعاش حياته المباركة كما يعيش البشر ، فقد توفي أبوه وهو في بطن أمه ، وتوفيت أمه وعمره ست سنوات ، ورضع من حليمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السعدية كما يرضع كل طفل .

وتزوج من خديجة بنت خويلد وولدت له قاسماً وعبد الله والـطيب وزينب وأم كلثـوم ورقية وفاطمة الزهراء ، وبقي في مكة أربعين عاماً قبل البعثة وثلاثة عشر عاماً بعد البعثة ، يجري عليه ما يجري على البشر ، وهاجر إلى المدينة وبقي بها عشر سنوات يجري عليه ما يجري على البشر ، وتـوفي كما يتـوفى سائـر البشر ، ودفن ـ بأبي هو وأمي ـ كما يدفن كل إنسان ، فصفات البشرية واضحة في كل مراحل حياته كل الوضوح . ﷺ وقد أعلن القرآن الكريم ذلك في مواضع كثيرة : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمـل عمـلاً صالحـاً ولا يشرك بعبـادة ربه أحدا** ﴾ ﴿ الكهف : ١١٠) ، وأعلن هو في أكثر من مناسبة أنه بشر ونجد في القرآن الكريم تشديداً على بشريته وبشرية الأنبياء من قبله ، واستبعاد أن يدعي أحد منهم أنه رب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الأرباب، أو أن يتخذوا لأنفسهم رباً من الملائكة أو النبيين : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ (آل عمران : ٨١) .

الأنبياء دعاة إلى ا لتوحيد :

كانت دعوة الأنبياء والرسل واحدة : ﴿ أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (الأعراف : ٥٩ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٧٣) (هود: ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤) . وقد جاء التحذير من اتخاذ الأنبياء فمن دونهم من الصالحين أرباباً لأن ذلك كفر ما بعده كفر ، وقد شدد الله سبحانه وتعالى النكير على الذين اتخذوا أنبياءهم ورهبانهم أرباباً من دون الله : ﴿ اتخذوا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاًواحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (التوبة : ٣١ ، ٣٢) . وهم لم يعبدوا الأحبار والرهبان اعتقاداً بأنهم آلهة من دون الله ، بل اتبعوهم فيما افتروه على الله من تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم وأطاعوهم في كل ما أمروهم به ، أو نهوهم عنه مما لم يأت بهم شرعهم ، ولم تأت به أنبياؤهم ، فأصبحوا بذلك أرباباً للناس من دون الله .

والمسيح ابن مريم عليه السلام وأمه بريئان ممن يدعي لهما الربوبية أو الألوهية : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ (المائدة : ١١٦ ، ١١٧) .

كيف عبدت الأصنام :

وقد عبد رجال صالحون بعد موتهم بدهر ، كان أهل عصرهم يحبونهم ثم جاء من بعدهم فأضافوا إليهم غرائب وعجائب لا أصل لها ، فازدادوا لهم حباً وبهم إعجاباً وانتقل الإعجاب إلى تقديسهم ثم أقيمت لهم الصور والتماثيل وعبدت صورهم ، فقد أورد القرطبي : « عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾** (نوح : ٢٣) ، قال : هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنصاباً وسموها بأسمائهم تذكروهم بها ففعلوا فلم تعبد . حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت من دون الله » .

فتنة بني إسرائيل بالعزير :

ونجد أن هناك من عُبِدَ من الأنبياء كالعزيز عليه الصلاة والسلام ، غاب عن عائلته وأهله وقومه مائة سنة ، وعاد إليهم بعد أن أماته الله مائة عام ثم بعثه على ما كان عليه وعمره أربعون سنة تقريباً لم يتغير فيه شيء ، ورأى أن ابنه صار عمره مائة وثمانية عشر عاماً ، وحفدته شيوخ تزيد أعمارهم عن الثمانين والتسعين ، وكان يحفظ التوراة عن ظهر قلب ، فلما رأى قومه منه ذلك قالوا : « عزيرٌ ابن الله » وهو الذي وردت قصة موته وحماره في قوله تعالى : ﴿ أوكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعثه . . . ﴾ (البقرة : ٢٥٩) .

ولـو تأملوا في قصتـه لعلمـوا ن الله قد أمـاتـه هذه المدةالطويلة ثم بعثه ليريه قدرته على بعث مخلوقاته ، وقد رأى حماره قد صار عظاماً نخرة فاجتمع بعضها إلى بعض كما كانت قبل أن يموت ، ثم كساها الله تعالى اللحم وأجرى في اللحم العروق والأعصاب ، ثم كسا الله الحمار جلداً وصوفاً كما كان ، وعـاد حماراً كما كان . . . ورأى طعامه وشرابه الذي كان معه لم يتغير فيه شيء كما لو كان قد نام عنه يوماً أو بعض يوم . . فلما رأى ذلك ﴿ قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ .

فتنة النصارىٰ بعيسىٰ عليه السلام :

وقـد فتنت النصـارى بعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لما أجرى الله على يديه من المعجزات العظيمة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع أنه كان يخبرهم أنه إنما يفعل ذلك بإذن الله ، وأنه عبد الله ورسوله .

وقد أراد الله تعالى أن يري عباده آية من آياته فخلق عيسى من غير أب ليعلموا أنه على كل شيء قدير ، وأنه كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، وكما خلق حواء من آدم بغير زواج ، فإنه هنا خلق عيسى من أم بغير أب ، وأنه سبحانه يخلق ما يشاء ، إن شاء خلق بسبب ، وإن شاء خلق بغير سبب ، لأن الأسباب من إبداعه وصنعه ، يعملها ويبطلها كيف يشاء ، ولا يقدر على ذلك أحد سواه .

ومن أعظم معجزات عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وإنباء الناس بما غاب عنه من أحوالهم ، وما يأكلون في بيوتهم ، وما يدخرون لأنفسهم من أموال أو أرزاق . . . وأن الله قد خلقه بكلمة ، ولم يخلقه من أب : ﴿ **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والإنجيل . ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيكون طيراً بإذن الله وإبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (آل عمران ٤٩) ، ثم رفعه الله إلى السماء بجسمه وروحه . ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ ﴾ (آل عمران : ٥٥) ، ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ (النساء : ١٥٧ ـ ١٥٨) .

التأكيد على بشرية الرسول ﷺ :

وإذا قرأنا القرآن وتدبرناه نجد أن هناك توجيهاً واضحاً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جلياً من الله عز وجل لعبده ورسوله محمد ﷺ أن يعلن أنه بشر ، ففي سورة الكهف وفي سورة فصلت ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد** ﴾ (الكهف : ١١٠) ، ولما طلب أهل مكة منه أموراً خارقة للعادة . حكى القرآن الكريم ما طلبوه من الخوارق مؤكداً أنه بشر ، وأن الخوارق بيد الله تعالى ، وأن محمداً ﷺ لا يستطيع أن يأتي بآية من عند نفسه إلا أن يشاء الله : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أوتأتي بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً** ﴾ (الإسراء : ٩٠ ـ ٩٣) .

ذكر ابن إسحق في سيرته بسنده عن عبادة بن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصـامت رضي الله عنـه قال: كنت ممن حضر العقبـة الأولى وكنا اثنى عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . إلخ . الحديث .

وهذه أول بيعة وقد ابتدأت على أن لا نشرك بالله شيئاً .

وكـانت كتب النبي ﷺ لأهـل الكتـاب مقترنة بهذه الآية : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ (آل عمران : ٦٤) .

فهذا أمر من الله لرسوله أن يدعو أهل الكتاب لعبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك وكان مما قال في خطبته يوم الفتـح : « لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، صدق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وكان مما قام به يوم الفتح : تكسير الأصنام ، وكان يطعنها بعود في يده وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » «جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » .

ومن يوم فتح مكة حتى الآن وإلى ما شاء الله ينادي المؤذن فوق الكعبة كما ينادى فوق كل مسجد في الأرض : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله .

وعندما شاع يوم أحد بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، (وكان شبيهاً بالنبي ﷺ خلقاً وخلقاً) ، أن النبي ﷺ قتل ، وكبر ذلك على المسلمين نزل قول الله تعالى بهذا التعبير الواضح العظيم ، يثبت بشريته ﷺ ، وأنـه يصيبه ما أصاب من قبله من الرسل من موت أو قتل : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عقبيه فلن يضر الله شيئاً ﴾ (آل عمران : آية ١٤٤) .

ولما تمنى بعض المشركين من قريش موته نزل قوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفئن مت فهم الخالدون** ﴾ (الأنبياء : ٣٤) .

ولما استبطأ بعض كفار قريش موته نزل قوله تعالى : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾ (الزمر : ٣٠ ، ٣١) .

وقد حكى القرآن الكريم تعجب المشركين من أن يكون الرسول ﷺ بشراً فقال : ﴿ **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق** . . . ﴾ (الفرقان : الآية ٧) .

هذه النصوص وغيرها مما جاء على شاكلتها ، وهي كثيرة جداً لا تكاد تخلو منها صفحة في كتاب الله ، وهي تتلى وتقرأ وتتكرر على ألسنة الحفاظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقراء والعلماء وعلى رؤوس الأشهاد ، وها هو ذا رسول الله ﷺ يصيبه ما يصيب البشر في غزوة أحد ، فيقع في حفرة من الحفر التي حفرها وغطاها أبو عامر الراهب ، وأُغمِي عليه ، وخدشت ركبتاه ورماه عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته ، وكذلك شج وجهه الشريف وجرحت وجنتاه . ولما قال ﷺ : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم . أنزل الله تعالى : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ (آل عمران : ١٢٨) .

وكذلك لما قنت شهراً يدعو على عكل وعرينة نزلت : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ (آل عمران ١٢٨) .

وقيل إنها نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من القراء بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل بئر معونة وهي بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو، فقتلهم عدو الله عامر بن الطفيل فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً وقنت شهراً في الصلوات كلها يدعو على من قتلهم من تلك القبائل .

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول : اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد . فأنزل الله تعالى عليه : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾ (آل عمران : ١٢٨) .

فهذه النصوص تدل دلالة قاطعة واضحة على أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله ونبيه وهي من الوضوح والقوة تمنع أن يعبد محمد ﷺ في حياته أو بعد مماته لأنها تؤكد بشريته

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع عظم شأنه وقدره وهو الذي علم الأمة التوحيد وهداها إلى الصراط المستقيم وكان رحمة للعالمين . . عبد الله على هدى وبصيرة وإخلاص وهدم كل معالم الشرك وحارب سبله وأدواته ولم يسمح لأحد بتقديسه أو عبادته ولم يَدَّعِ أحد أبداً أنه إله وما حاول أحد مجرد محاولة عبادة سيدنا محمد ﷺ لأن كل ما جاء في الكتاب والسنة كفيل بمنع ذلك والحيلولة دونه .

فالتأكيد على بشريته ﷺ ، وتكرار التأكيد في القرآن الكريم على بشرية الأنبياء والمرسلين لا تخفى على أحد ، وهذا القرآن الكريم أنزل على محمد ﷺ ، وهو محفوظ في صدور أصحابه ومن بعدهم من التابعين ، وتابعيهم إلى يومنا هذا ، وهو يتلى دوماً ويفسر دوماً . وإن تكرار التأكيد على هذا مانع كبير أن يعبد في حياته أو بعد مماته . ففي سورة الإسراء : ﴿ **وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً** ﴾

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(الإسراء ، الآية ٩٤) .

وفي سورة يس قول أهل القرية لرسلهم : ﴿ ... ما **أنتم إلا بشر مثلنا** ﴾ (الآية : ١٥) .

وفي سورة التغابن : ﴿ **فقالوا أبشر يهدوننا** ﴾ (الآية ٦٠) .

وفي قصة فرعون ـ وموقفه ـ مع موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام : ﴿ **أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون** ﴾ (سورة المؤمنون ، آية ٤٧) .

وفي القرآن الكريم النص على رسالة محمد ﷺ وأنه واحد من الرسل وأنه من العرب : ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم** ﴾ (آل عمران ، آية ١٦٤) ، ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ (التوبة ، آية ١٢٨) ، ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم** ﴾ (البقرة : ١٥١) ,

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اختـــار العبوديـــة :

وفي سيرته الشريفة ، أنه ﷺ خُيِّر بين أن يكون ملكاً رسولاً ، وبين أن يكون عبداً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، يجوع يوماً فيصبر ، ويشبع يوماً فيشكر ، قالت عائشة رضي الله عنها : «إنا كنا آل محمد ﷺ لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً إن هو إلا التمر والماء » رواه الشيخان .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا » (رواه البخاري) .

وربط على بَطنه حجراً من الجوع في حفر الخندق . . وهذا كثير وكثير في سيرته وكلها تأكيد على بشريته و تجسيد لصبره واحتسابه وعبوديته لله ، وهذه السيرة يتداولها المسلمون وغير المسلمين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحين توفي رسول الله ﷺ ، واشتد الأمر على عمر رضي الله عنه فقال إن محمداً لم يمت ، خطب أبو بكر رضي الله عنه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . .** ﴾ (آل عمران ، ١٤٤) .

وفي هذا تأكيد من الله تعالى لعباده بأن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله ، وأنه يجري عليه ما يجري على سائر البشر من الموت أو القتل ، فهل يعقل بعد هذا أن يعبد رسول الله ﷺ في حياته أو بعد موته .

وفي كلمة أبي بكر رضي الله عنه ما يثبت أن عبادة رسول الله ﷺ لم تخطر على بال أحد من الصحابة ، فهو يذكرهم بخصائص النبي التي يعرفونها ، وأنه بشر رسول قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلت من قبله الرسل ، وأن الله تعالى قد كتب عليه الموت كما كتبه عليهم وعلى سائر الناس : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ (الزمر ، ٣٠) . ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون** ﴾ (الأنبياء ، ٣٤) وكأنه يقول في خطابهم : إنكم تعلمون من حياة نبيكم ومن هديه أنه عبد الله ورسوله ، وقد بلغ رسالة ربه كما أمره الله ، وها هو ذا قد مات تصديقاً لوعد الله ، فانظروا ماذا أنتم فاعلون بعد موته ، فإنكم مطالبون باتباع هديه ، وتبليغ رسالته كما أمركم الله بذلك وشرفكم به ، فجعلكم شهداء على الناس ، فقوموا إلى ذلك ، وانهضوا بهذا الأمر فإنكم مسؤولون عنه تصديقاً لقول ربكم : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً . . .** ﴾ (البقرة ، ١٤٣) .

وفي إثبات بشريته ﷺ ما ورد في الحديث الشريف عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : «أتيت رسول الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء » رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث صحيح .

وما رواه الشيخان عن المغيرة رضي الله عنه قال : « قام رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه » ، وفي رواية لهما « كان يصلي حتى تتورم قدماه » ، فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً » رواه الترمذي .

هكذا يؤكد على عبوديته وشكره لله الواحد الأحد . فهل يعقل بعد هذا أن يعتقد أحد أنه إله يعبد من دون الله أو مع الله ؟ حاشا لله ذلك وكلا .

تواضعـــــــه :

ومن شمائله الشريفة التي اتصف بها ودعا أتباعه إليها التواضع ، فكان ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله . رواه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أحمـد وصححه ابن حبان ، وفي رواية لأحمد : « ويرفع دلوه ويفلي ثوبه ، ويحلب شاته ويخدم نفسه ، وكان يركب الحمار ويردف خلفه » .

وروى الشيخـان عن عائشة رضي الله عنها قالت : «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه حشوه ليف وكـان ﷺ يقـول : « تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » ، ويحرم الكبر ويقول : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» رواه مسلم .

وكان في كل أحواله يقول : (إني عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد) ، أبو الحسن الندوي عن الشفاء ، ص ١٠١ .

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « دخل علي رسول الله ﷺ فألقيت له وسادة من أدم حشوها ليف ، فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه » (الأدب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المفـرد ، ص ١٧٣) ، وفي الشفاء ، ص ١٠١ ، عن البخاري : « كان ﷺ يقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناقته ويأكل مع الخادم ويعجن معه ويحمل بضاعته إلى السوق » .

ومحال على من كانت هذه صفاته أن يعبد في حياته أو بعدمماته ، والداني والقاصي عرف منه ذلك . وعدي بن حاتم الذي فر من الله ورسوله وذهب إلى ملوك الغساسنة في الشـام ، ورأى ما في قصورهم من البذخ والنعيم ، دعته أخته سفانة للمجيء إليه ﷺ وقالت له : « إن كان ملكـاً أصبت من ملكـه ، وإن كان نبياً اهتـديت من نبوته » ، ولما دخل المدينة وسأل أين محمد ﷺ قيل اذهب من هنا ، وجاء حتى وصل إليه فسلم عليه ، وذهب به ﷺ إلى بيته ، فلم يجد الأثاث الفاخر ولا أبهة الملوك ولا عظمة الرؤساء ، ولم يجد قصراً باذخاً ، بل دخل حجرة صغيرة ، وكانت هناك وسادة فقدمها ﷺ لعدي وجلس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الأرض ، فلم يتمالك عدي نفسه عن الإسلام فأسلم .

فهـذه وأمثـالها دليل على العبودية الحقة ، ولا يعقل معها أن يعبد محمد ﷺ في حياته ولا بعد مماته .

صبـــره على الأذى :

وفي سيرته الكريمة أنه أوذي من مشركي قريش أذى شديداً ، فوضعوا سلا الجزور على ظهره وهو يصلي وبقي ساجداً حتى جاءت فاطمة الزهراء ابنته رضي الله عنها فرفعت عنه سلا الجزور وهي تبكي .

وفي رجوعه من الطائف أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ، قال موسى بن عقبة : رمواعراقيبه بالحجارة حتى اخضلت نعلاه بالدماء ، وكان يجلس ليتقي الحجارة عن قدميه ويكب عليه زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجاً كثيرة ، وجلس إلى ظل شجرة ودعا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دعـــاءه المشهـور فيما روي : « اللهم إني أشكـو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهـــواني على النـاس ، يا أرحـم الـــراحمـــين ، أنت أرحم الـــراحمـــين وأنت رب المستضعفين، إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني ، أم إلى بعيد ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبـالي ، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي سخطك ، أو ينزل بي عذابك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك »[1] .

فهذه كلها أمور تؤكد عبوديته وتبعد كل البعد أن يعبد في حياته أو بعد مماته .

---

(١) سيرة ابن هشام ج/ ٤٢٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تطــروني :

وقد حذر ﷺ أمته من الغلو فيه كما غلت النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام حين رفعته عن حقيقته البشرية ، وزعمت أنه هو الله ، أو أنه ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ .

فقال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » ، رواه البخاري .

أما الحديث عن شمائله وخصائصه ومعجزاته ، وعظيم فضل الله عليه ، وعظيم منزلته عند ربه ، وما ينبغي له من التقدير والتعظيم والتوقير فليس مما يدخل في إطرائه المنهي عنه ، بل هي ثابتة له في كتاب الله عز وجل ، وفي سنته الشريفة ، يجب على الأمة تعلمها ليزداد المؤمنون إيماناً بالله تعالى ، وحباً برسول الله ﷺ ، وتوقيراً له ، ومعرفة بمقدار فضله على الناس وبمقدار فضل الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عليه ، وما أجمل قول من قال :

فإن فضـــل رســـول الله ليس له
حد فيعـــرب عنـــه ناطـــق نعـم

العبودية لله أعظم صفاته :

ومن دلائل عبوديته ﷺ أنه علمنا في تشهدنا في الصلاة أن نشهد له أنه عبد الله ورسوله وأمرنا في الصلاة أن نقول بعـد التحيات والتشهـد : « وأشهـد أن محمـداً عبـده ورسوله » كما أمرنا في كل خطبة وفي كل مهمة بل في كل درس وفي كل تحدث أن نصـلي ونسلم عليه ونشهد أنه عبـد الله ورسـوله ، وقد شرعت الشهادة له بالرسالة في الأذان الذي يرتفع كل يوم خمس مرات ، ويردد المسلمون مع المؤذن جمل الأذان ، ومنها : أشهد أن محمداً رسول الله ، وكذلك الحال عند إقامة الصلاة .

وقـد وصف الحق سبحـانـه وتعالى الرسل في القرآن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكريم بالعبودية لأنها أكرم الصفات : ﴿ **واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار** ﴾ (ص ٤٥) ﴿ **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب** ﴾ (**ص ٤١**) ، ﴿ **واذكر عبدنا داود** ﴾ (ص ١٧) ، وفي أيوب : ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾ (ص : ٤٤) .

وعندما حدثنا الله تعالى عن إسرائه بنبيه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى خاطبنا بقوله : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ (الإسراء : ١) .

وقد جاءت الإشارة إلى عبوديته ﷺ في مطالع بعض سور القرآن الكريم ، ليكون ذلك أدعى إلى التذكر والحفظ ، .

فعندما امتن الله على عباده بنبوة محمد ﷺ وبكتابه المبين الذي لا عوج فيه ولا التباس أثنى على نفسه فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبحانه : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً** ﴾ (الكهف : ١ ٠ ، وعندما امتن على العالمين ببعثته ونزول القرآن الكريم على قلبه قال سبحانه : ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾ (الفرقان ، ١) .

وعندما كان ﷺ يجود بنفسه الكريمة ويوشك أن يحظى بلقاء الله وهو على فراش الموت . . كان إذا صحامن سكرة الموت يفتح عينيه ويقول : لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرة .

وكان ﷺ يقول : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » (رواه النسائي وأبو داود وأحمد وهو حديث حسن .

ولهذا فإن قبره ظل مكاناً شريفاً في حجرته بجوار مسجده

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﷺ فيصلون في المسجد ، ثم يسلمون عليه ﷺ ولم يحدث أن عُبِدَ هذا القبر لا في الماضي ولا في الحاضر . . بل سيظل محفوظاً بأمر الله من الزوال والضياع ومن أي احتمال لعبادته ، فلم يُعْبَدَ ولن يُعْبَدْ قبره أبداً . . وكيف يعبد في قبره ﷺ أو يعبد قبره وهو لم يعبد في حياته ؟ .

فهذا يبعد كل البعد أن يعبد محمد ﷺ بعدمماته ، بل يمنع منعاً باتاً أن يقع شيء من ذلك وقد أرسله الله رحمة للعالمين ولم يجعله فتنة لأحد من عباده إلى يوم الدين لأن الرحمة لا يمكن أن تصبح فتنة والحمد لله على فضله ورحمته بعباده : ﴿ **إن الله بالناس لرؤوف رحيم** ﴾ (الحج : ٦٥) .

تحذير وعتاب :

وقد حذر الله تعالى النبي ﷺ من العصيان فقال :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ (الأنعام : ١٥) . ورغم أن الخطاب له ولكن المقصود أمته . وكذلك العتاب الشديد له في قصة زيد عندما أخبره جبريل عليه السلام بأن زيداً سيطلق زوجته وأنها ستكون زوجة له ﷺ ، اشتد عليه هذا الأمر لما يمكن أن يقول الناس فيه ، إن محمداً تزوج زوجة ابنه .

وقد جاء العتاب : ﴿ **وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه . فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً** ﴾ (الأحزاب : ٣٧) .

لقد أراد الله إبطال التبني الذي كان في الجاهلية ، وفي بدء الإسلام ، وأن المتبنى ليس ابناً : ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم . . .** ﴾ (الأحزاب : ٤) .

ثم أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو هؤلاء إلى آبائهم فقال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعـالى : ﴿ **ادعـوهم لآبائهم هو أقسط عند الله . .** ﴾ (الأحزاب : ٥) .

إن هذا التحـذير وهذا العتاب يدلان دلالة واضحة على أن محمداً عبد الله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ﴿ **ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراًوداعياً إلى الله بإذنـه وسراجاً منيراً** ﴾ (الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦) .

زد على ذلك أن الله شرع قراءة الفاتحة في كل ركعة وفيها ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ، وجعل الشهادتين شرطاً للدخول في الإسلام . . أشهد أن لا إله إلا الله : أي لا معبود بحق إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وقول الله عز وجل : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبـله الـرسـل أفـإن مات أو قتـل انـقـلبـتـم على أعقابكم . . .** ﴾ (آل عمران ١٤٤) .

فكيف يتأتى أن يعبد في حياته أو بعد مماته ؟! .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التوحيـد أســاس الإســلام :

والـدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك أخذت ثلاثة عشر عاماً في بدء الدعوة . فبعد مبعث النبي ﷺ كانت الدعوة إلى شيئين بارزين ، الدعوة إلى توحيد الله والإيمان باليوم الآخر ، والإيمان بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء .

وقـد كان المشركون يعتقدون بوجود الله ولكنهم كانوا مشركين به ، وكانوا ينكرون البعث بعد الموت . . وأكثر آيات القرآن الكريم تدور حول تخليص العقول والقلوب من الشرك وإخلاص العبودية لله وجعلها خاصة به دون أحـد سواه ودعوة الرسول ﷺ إلى أن يكون إماماً وأسوة للمسلمين في كمال العبودية ، وإخلاص العبادة لله عز وجـل : ﴿ **فاعبـده واصطبر لعبادته** ﴾ (مريم ٦٥) ، ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ (الحجر : ٩٩) ، ﴿ **وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعـــون ﴾ (القصص : ٨٧ ـ ٨٨) ، ﴿ قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً . قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ﴾ (نوح ٢١ ـ ٢٢) .

وقـد خاطب القـرآن الكـريم محمـداً ﷺ بقـولـه : ﴿ قل إنمـا أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به شيئاً إليه أدعو وإليه مآب ﴾ (الرعد : ٦٦) .

وآيات أخرى كثيرة : ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ (النساء : ٤٨ ، ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ (النسـاء : ١١٦) ، ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ (المائدة : ٧٢) ، ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصـاً له الدين وأمرت أن أكون أول المسلمين ﴾ (الزمر : ١١ ـ ١٢) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

روى الشيخـان : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وقول الزور » وكان متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » .

وروى الشيخـان : « أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . قلت : إن ذلك لعظيم . ثم أي؟ قال : وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك . قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك .

تحذيره أمته من الشـــرك :

والنبي ﷺ حذر من الشرك وقال : «أخوف ما أخاف عليكم الشرك » .

وجعل الشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ، ولما عد أكبر الكبـائر عد أولها « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » وكل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمور قابلة للمغفرة إلا الشرك . قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (النساء : ١١٦) .

ومما هو معلوم لكل مسلم أن الشرك أعظم الظلم : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ (لقمان : ١٣) .

وأن الشرك محبط للعمل مهما كان عظيماً : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً** ﴾ (الفرقان : ٢٣) .

وإن العصاة إذا لم يتوبوا فأمرهم يفوض لربهم إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم، وأما إذا تابوا وصدقوا في التوبة قبل الله توبتهم، والله يبسط يده في الليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل .

والنبي المعظم ﷺ يقول : « والله إني لأستغفرن الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخاري . هذا وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فكيف يعبد محمد ﷺ الذي يكرر التوبة إلى ربه وخالقه في اليوم أكثر من سبعين مرة . .

منعه أن يسجد له أحد :

ولما جاء بعض الصحابة من بلاد الكفر وقد رأوا الناس يسجدون لملوكهم أو لبطارقتهم ، أرادوا أن يسجدوا لرسول الله ﷺ وقالوا : نحن أحق بالسجود لك ، فأبى عليهم ذلك ، وعلمهم أنه لا يجوز السجود لغير الله ، ولا يصح لبشر أن يسجد لبشر» رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه (أي يسقون عليه) ، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأنصار جاؤوا إلى الرسول ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه ، وأنه استصعب علينا منعنا ظهره ، وقد عطش النخل والزرع ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فقاموا ودخل الحائط والجمل في ناحية ، فمشى رسول الله ﷺ نحوه فقالت الأنصار : يا رسول الله قد صار مثل الكَلْب الكَلِبِ ، وإنانخاف عليك صولته ، فقال ﷺ : ليس علي منه بأس ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل ، فنحن أحق بالسجود لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يصح لبشر أن يسجد لبشر ، لو صح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالمعجزة واضحة وعظيمة ولكن أعقبها ذلك التنبيه العظيم : « لا يصح لبشر أن يسجد لبشر » ، فهل يعقل أن يعبد محمد ﷺ في حياته أو بعد مماته ؟!

ومن عظيم نصحه لأمته في بيان حقيقة التوحيد أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : ما شاء الله وشئت . فخشي أن يفهم أحد أن لرسول الله ﷺ مشيئة كمشيئة الله ، أو أن يكون لأحد إرادة مع إرادته ، ومع أن هذا الأمر واضح في كتاب الله عز وجل : ﴿ **ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً . إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً** ﴾ (الكهف : ٢٣ - ٢٤) ، ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾ (الإنسان : ٣٠) ، ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء . .** ﴾ (القصص : ٥٦) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع ذلك فإنه سارع إلى تصحيح العبارة باستنكار قول الرجل ، وبيان الصواب بقوله : (أتجعلني لله نداً ، ولكن قل ما شاء الله ثم ما شئت) .

قال ذلك وهو يعلم أن الرجل ماأراد أن محمداً ﷺ صار نداً لله ، بل يعلم أنه عبد الله ورسوله ، وأنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . وله كل خصائص البشر، وأنه يميزه عن غيره من الناس شرف النبوة، وتلقي الوحي عن الله تعالى : ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ والصحابة كلهم يعلمون ذلك عنه ، وهم أبعد الناس عن الشرك أو اعتقاد الندية لله بأحد !!

لقد أراد ﷺ أن يعلم الأمة دقة التعبير حين يكون الأمر متعلقاً بالعقيدة الإسلامية، وأن يكون واضحاً في أذهان المسلمين أن مشيئة الله مطلقة ، لا تتعلق بمشيئة أحد من البشر ، ولو كان رسول الله ﷺ أفضل خلق الله ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسيد ولـد آدم ، وصـاحب الشفاعة العظمى والوسيلة والحوض المورود ، وصاحب المعجزات الكبرى . . .

فهل يمكن بعد هذا أن يتوهم أحد أن رسول الله ﷺ إله يعبد من دون الله . . معاذ الله .

بعـض معجـزاته :

أيد الله تعـالى أنبياءه الكرام بالمعجزات الخارقة التي تشهـد بصـدقهم ، وما من نبي إلا وآتاه الله معجزة أو معجـزات تكـون شاهداً على صدق نبوته ، وداعياً قوياً لإيمان الناس به ، وقد أيد الله نبينا محمداً ﷺ بأعظم المعجزات المادية والمعنوية ، وأعظم معجزاته القرآن الكريم الذي أعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، بل أن يأتوا بسورة من مثله .

أما معجزاته الأخرى فهي كثيرة جداً لا يتسع المجال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذكرها، وقد جاء ذكر بعض معجزاته في القرآن الكريم نصوصاً قاطعة ، ومن هذه المعجزات معجزة الإسراء والمعراج فقد أسرى الله تعالى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في ليلة واحدة .

وقد جاء النص على الإسراء به في مطلع سورة الإسراء : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ (الإسراء : ١) .

لقد جاء النص منذ بدايته إعلاناً واضحاً بأن الإسراء به ﷺ لم يكن بقدرته هو، ولا بقدرة أحد من الملائكة ، ولكنه بقدرة الله القادر على كل شيء ، فهو الذي أسرى به ، وهو الذي رفعه إلى السماوات السبع وما فوقهن وأراه من آياته الكبرى ما شاء .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجاءت البداية تسبيحاً لله «سبحان» إعلاناً واضحاً بأن هذه المعجزة ليست من قدرة محمد ﷺ ، بل هي من فعل الله المنزه عن المشابهة لأحد من الخلق ، أو الخضوع لقوانين المادة التي تخضع لها الخلائق ، وكأن الآية الكريمة تقول : إن معجزة الإسراء والمعراج لا تقاس بما تألفونه من قوانين الجاذبية والثقل ووسائط النقل وما تعرفونه من حدود السرعة . . . بل تقاس إلى قدرة خالق السماوات والأرض ، الفعال لما يريد ، الذي يسبح له كل ما في الوجود ، وينزهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن المشابهة للخلق ، أو الخضوع للأسباب . . .

وقد جاء النص على عبودية النبي ﷺ لله منذ مطلع الآية : ﴿ **أسرى بعبده** ﴾ فهو عبد رسول ، بل هو أعبد خلق الله لمولاه كما هو أخشى خلق الله لله ، وذلك أمر معروف ومشهور عنه لا يحتاج إلى دليل ، ونصوصه في الكتاب والسنة واضحة بينة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجاء النص على عبوديته في مطلع سورة النجم التي جاء فيها الحديث عن معجزة المعراج واضحاً لا لبس فيه : ﴿ **والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحىٰ** ﴾ (النجم : ١ ـ ٤) .

فدل على أنه رسول من البشر قد حفظه الله من الضلال والغواية، وأن ما يأتي به وحي من الله جل جلاله، وأن الذي يأتيه بالوحي هو جبريل عليه السلام وقد رآه النبي ﷺ بصورته الملائكية وله ستمائة جناح مرتين: مرة عندما فاجأه الوحي أول مرة في جبل ثور ؛ ﴿ **علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلىٰ . ثم دنا فتدلىٰ . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأىٰ . أفتمارونه على ما يرى** ﴾ (النجم : ٥ ـ ١٢).

ومرة أخرى ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماوات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العلىٰ ، وإلى سدرةالمنتهى : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ (النجم : ١٣ ـ ١٥) .

والآيات التي رآها في الإسراء والمعراج كثيرة جداً ، منها ركوبه البراق ، وحشر الأنبياء له ، وصلاته بهم إماماً في بيت المقدس ، وعروجه إلى السماوات السبع ، ورؤيته في كل سماء واحداً من الأنبياء ، وتسليمه عليهم ، ورؤيته موسى في السماء السادسة ، وإبراهيم في السماء السابعة ، ورؤيته البيت المعمور في السماء السابعة ، وعروجه إلى سدرة المنتهى ، وتكليم الله له ، وما غشي السدرة من نور الله ، ومن الملائكة ، ورؤيته الجنة ونعيمها وأهلها ، ورؤيته النار وعذابها وأهلها وأصناف المعذبين فيها ، ورؤيته جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، وفرض الصلاة عليه خمسين صلاة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم تخفيفهـا عنه وعن أمته إلى خمسٍ ، وكلها معجزات كبرى لم يتح مثلها لنبي سواه ، وقد عاد من رحلته تلك يتلو على الناس ما يؤكد عبوديته لله ، وأنه بشر رسول من الله . .

ومن معجزاته التي جاء ذكرها في القرآن الكريم معجزة انشقـاق القمـر ، فقد طلبت قريش من النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين . رواه مسلم .

وروى البخاري عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسـول الله ﷺ . . . أن يريهم آية فأراهم القمـر شقين حتى رأوا حراء بينهما . فقالوا سحرنا محمد ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾ .

وأمـا معجـزاتـه المروية بالأحاديث الصحيحة فكثيرة جداً ، نذكر طرفاً منها .

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت غزوة تبوك ، أصاب الناس مجاعة ، فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا ، فقال رسول الله ﷺ : افعلوا . قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلت قَلَّ الظَّهْرُ ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل في ذلك بلاغاً . فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم قال : فجعل الرجل يأتي بكف ذرة قال : ويجيء الآخر بكف تمر . قال ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة .

فقد نبه ﷺ في ختام هذه المعجزة العظيمة إلى أنها من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فضل الله وبقدرته وإذنه ، وأنه لا يأتي بها إلا نبي ، وأن الله هو الذي يؤيد بالمعجزة من شاء متى شاء ، ليزداد المؤمنون إيماناً بالله ، وتصديقاً برسوله ، وتسبيحاً بحمد ربهم ، وتنزيهاً له عن الشركاء ، فيعبدوه وحده ، وينقادوا لأمره ، وهذا يمنع أن يخطر في بال أحد أن يعبد محمداً ﷺ في حياته أو بعدموته .

ومن عظيم معجزاته :

ما روي عن غزوة أحد أن عين أبي قتادة أصيبت في أحد فسالت على خده ، فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما .

وروي أنه انقطع سيف عكاشة يوم بدر ، فأعطاه الرسول ﷺ جذلاً من شجرة ، فعاد في يده سيفاً صارماً صافي الحديدة شديد المشهر ، يضرب به في نحور الأعداء .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأخذ رسول الله ﷺ يوم بدر قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين ، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين ، وجاء الوحي لئلا يذهب ببعض الناس الفهم إلى وهم ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ (الأنفال : ١٧) . . . فلا يستطيع محمد ﷺ وهو بشر أن يوصل التراب إلى ما وصل إليه مهما أوتي من القوة إلا بإذن الله .

وقد أعطى الله سبحانه نبيه ﷺ معجزات كبرى مثل نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام القليل وتسبيح الطعام وتسبيح الحصا وتسليم الحجر عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

أخرج مسلم في كتاب الجهاد في غزوة حنين عن سلمة بن الأكوع قال : لما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ، ثم استقبل به وجوههم فقال : شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنساناً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين .

وعن بريدة رضي الله عنه : سأل أعرابي النبي ﷺ آية « أي معجزة بعد أن أسلم كما في رواية البزار وأبي نعيم » ليقوي إسلامه ، فقال له : قل لتلك الشجرة « رسول الله ﷺ يدعوك » . قال : فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها ، فتقطعت عروقها مغيرة حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، قال الأعرابي : مرها فلترجع إلى منبتها ، فرجعت ، فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت ، فقال الأعرابي : ائذن لي أن أسجد لك ، قال : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » رواه البزار ونقله في الشفاء بزيادة وقال : ائذن لي أن أقبل يديك ورجليك فأذن » .

وقد روى الحاكم في مستدركه بإسناد جيد ، عن ابن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عمر رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ : أين تريد ؟ قال : إلى أهلي ، قال : هل لك إلى خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده ، وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال رسول الله ﷺ : هذه الشجرة ، فدعاها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهي على شاطىء الوادي ، فأقبلت تخد الأرض خداً ، فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ، ورجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه ، وقال : يا رسول الله ، إن يتبعوني آتك بهم ، وإلا رجعت إليك وكنت معك .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : سرنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى نزلنا وادياً أفيح ، فذهب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقضي حاجته ، فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا شجرتان في شاطىء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما ، فأخذ بعض أغصانها فقال : انقادي علي بإذن الله تعالى ، فانقادت معه كالبعير المخشوش (الخشاش عود من خشب ، فإن كان مفتولاً من وبر ونحوه فخزام ، ومن نحو نحاس فبرة) الذي يصانع قائده ، ثم فعل بالأخرى كذلك ، حتى إذا كان بالنصف بينها قال : التئما بإذن الله فالتأمتا . الحديث . .

إن كل من يقرأ هذه المعجزات الخارقة للعادة يجد في تضاعيفها المنع من السجود للبشر ، والنهي عن السجود لرسول الله ﷺ ، وقد كان السجود جائزاً للبشر قبل بعثته ﷺ ، ولم يكن عبادة ، فلما جاءت الشريعة الإسلامية نسخت هذا إلى الأبد ، وأصبح السجود للبشر حراماً لئلا يكون ذلك ذريعة لعبادة أحد غير الله .

ولو كان السجود جائزاً ، لأمر رسول الله ﷺ المرأة أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسجد لزوجها .

وهذه الأمور وغيرها كثير تقف مانعاً عظيماً وسداً قوياً أن يعبد محمد ﷺ في حياته أو بعدمماته .

وقد أعطي النبي ﷺ من الكمالات ما جعله في أعلى مراتب البشر وأفضل منازل الأنبياء ، وها هو ذا يقول عن نفسه : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ، « آدم ومن بعده تحت لوائي يوم القيامة » (رواه مسلم) .

إنها كمالات بشرية ، وعطاءات ربانية من لدن حكيم عليم متفضل ، وقد فهم المسلمون ذلك حق الفهم في عصورهم المختلفة ، على تفاوت علومهم ، واختلاف درجاتهم ، وقد أحسن من قال :

محمد بشر وليس كالبشر
بل هو ياقوتة والناس كالحجر

ومع كل هذه الكمالات فإن النصوص قاطعة بأنه بشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مثل سائر البشر في خلقه وولادته وحياته ومعاشه ومماته ، وإن كان البشر كلهم ، والأنبياء جميعهم دونه في المنزلة عند الله تعالى وعند ملائكته ، وعند أنبيائه وأوليائه وعباده المؤمنين أجمعين ، وقد جاءت النصوص بذلك في الكتاب والسنة ، فمن الكتاب أخذ الله العهد على أنبيائه إن أدركوا بعثته أن يؤمنوا به ، وذكره في التوراة والإنجيل ، وذكر علاماته وآياته ، وذكر سمات أصحابه . . . ووعد الله تعالى له بأن يعطيه يوم القيامة حتى يرضى ، ومواساة الله تعالى له فيما يواجهه من الصد والإعراض والأذى . . . ومن السنة الشريفة قوله ﷺ في الحديثين السابقين : « أنا سيد ولد آدم . . . آدم ومن بعده تحت لوائي يوم القيامة» وهذا وغيره كاف لأن يعلم الناس أنه ﷺ بشر ، يحرم السجود له ، وتحرم عبادته في حياته وبعد مماته .

ومن خصائصه أنه يرى من وراء ظهره كما يرى من أمامه ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ﷺ قال : « هل ترون قبلتي ههنا ، فوالله ما يخفى عليَّ خشـوعكم ولا ركوعكم ، إني لأراكم من وراء ظهري » (متفق عليه واللفظ لمسلم) .

وروى مسلم « إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي » .

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم قال العلماء : معناه أن الله تعالى خلق له إدراكاً في قفاه يبصر به من وراءه ، وقد انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا ، وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع ، بل ورد الشرع بظاهره ، فوجب القول به .

قال القـاضي عياض : « هذه الـرؤيا بالعين حقيقة والله أعلم » .

كل هديه تأكيد على التوحيد :

ولما كان الناس يختلفون ويتحاكمون إلى رسول الله ﷺ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويحكم بينهم فإنه كان يقول : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار » متفق عليه .

وفي كل تصرف من تصرفاته ﷺ يدلل على صدق العبودية لربه ، فهو العبد الحقيقي ، الصادق في عبوديته ، المخلص في عبادته لخالقه .

زد على ذلك أنه لم يتهم من قبل أعدائه بأنه يدعو الناس إلى عبادة نفسه ، بل اتهموه بأنه ساحر وكاهن ومجنون ، حاشا لله أن يكون كما زعموا ، بل هو عليه الصلاة والسلام ، سيد العقلاء وإمام أهل الإيمان ، وخاتم النبيين والمرسلين ، وحبيب رب العالمين : وما أروع ما قال فيه القائل :

وصفوة القول فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن يراجع تعاليم المصطفى ﷺ وتوجيهاته لصحابته رضوان الله عليهم يدرك بوضوح حرصه على ربط الناس في دعـــواتهم وتصرفـاتهم واستعـانتهم بالله عز وجـل ، وتأكيده على أن النافع والضار والرزاق والمعطي هو الله عز وجل وها هو ذا يعلم ابن عمه عبد الله بن عباس يوم كان خلف النبي ﷺ فقال له كما جاء في الحديث المروي عنه رضي الله تعالى عنه : «كنت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال : « يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاســأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمـة لو اجتمعت على أن ينفعـوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبـه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهل يعقل أن يعبد هذا النبي الكريم الذي بعثه الله هادياً ومبشراً ونـذيراً ، والـذي أرشد أصحابه إلى عمق التوكل على الله ، وعدم اتخاذ إله سواه : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ (الطلاق : ٣) ، وعلمهم أن لا يخافوا إلا من الله ، وأن يصلوا قلوبهم به ويأمنوا أنفسهم بالاعتماد عليه .

هكذا علمهم الإيمان بالقدر خيره وشره وأنه من الله فإذا تيقن المسلم هذا انصرف عن كل ما سواه ، ولم يعبد أحداً إلا الله .

وعندما سأله أبو عمرو سفيان ابن عبد الله رضي الله عنه فقال : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . فقال الرسول ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم » (رواه مسلم) . هكذا تحدث بجوامع الكلم ، وعلمه أهمية الإيمان بالله وأن الاستعانة لا تكون إلا بالله .

وقـد حفظ الله تعـالى سيرتـه نقية واضحة جلية تبدأ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالتوحيد وتنتهي إلى التوحيد ، فلم يعبد لا في حياته ولا بعدمماته ، وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يروي عن رسول الله ﷺ غيرته على كلمة التوحيد وأن الله قد أمره أن يقاتل الناس حتى يشهدوا بها ويؤدوا حقها ، فقال : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة : فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى » (رواه البخاري ومسلم) .

ثم ها هو ذا يعلم الأمة معنى التوكل على الله والإيمان به والاعتماد عليه والاستغناء عن كل شيء سواه فيقول ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو ذر الغفاري فيما يرويه عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم : يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحدمنكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحدمنكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » (رواه مسلم) .

وروى الشيخان عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قال : قال ﷺ إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنـظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخـاف عليكم أن تشركـوا بعدي ، ولكني أخاف أن تنافسوا فيها (أي الدنيا) .

قال هذا في خطبة خطبها قبل وفاته بأيام ، كالمودع لأصحابه ، وفي قوله : « وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي . . » ما يدل على أنه ﷺ مطمئن إلى أن التوحيد راسخ في أمته ، وأنها لن تشرك بالله أحداً ، ولن تعبد مع الله أحداً ، فهل يعقل بعد هذا أن تعبده أمته بعد موته ، وقد أقسم بالله أنها لن تفعل ذلك أبداً ! !

نعم لقـد حذرهـا من الشرك فقال أخوف ما أخاف عليكم الشرك والشهوة الخفية . فقالوا : أو تشرك أمتك من بعدك ؟ فقال : « أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ، ولكنهم يراؤون الناس بأعمالهم » فدل ذلك على أن الشرك الذي يخاف على أمته منه هو الشرك الخفي وهو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرياء ، وأنهم لن يعبدوا شمساً ولا قمراً ولا وثناً .

ويؤكد هذا أيضاً ما قاله ﷺ في حجة الوداع : « فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم . . » .

وهذا تأكيد آخر بنفي الشرك عن هذه الأمة ، وأنها لن تصرف العبادة لأحد غير الله أبداً أبداً . فهل يعقل بعد هذا أن تعبده أمته في حياته أو بعد موته وهو معلم الأمة حقيقة التوحيد !!!

هذا هو المصطفى ﷺ معلم التوحيد ورسول رب العالمين والنبي الكريم الذي علمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن لا نعبد بحق إلا الله فهل يعقل أن يعبده ﷺ أحد في حياته أو بعد مماته ؟!

كلا وألف كلا فقد تركنا « على المحجة البيضاء ليلها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » وإنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين .

نسأل الله عز وجل أن يحفظ على هذه الأمة دينها الذي هو عصمة أمرها ، وأن يرزقنا حسن اتباع نبيه ﷺ والتأسي به ، وأن يوردنا حوضه . . . إن شاء الله ونشرب بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى صحابة سيدنا محمد ورضي الله عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم برحمتك يا أكرم الأكرمين والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعـــــد ،

فقد بدا واضحاً أن رسول الله ﷺ هو رسول التوحيد . وخـاتم الأنبياء والمرسلين . . قامت دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له . . وجاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النـور ، ومن عبـادة الأصنـام إلى عبادة الله الواحد القهار وحده لا شريك له ولا مثيل . . وحذر هذا النبي عليه أفضـل الصـلاة والتسليم أمته من أصناف الشرك وألـوانـه . . ورباهم على الـوحـدانية لله عز وجل . . وجاءت القمة الإيمانية لتوضح أن الله عز وجل هو أغنى الأغنياء عن الشرك . . فهو نبي التوحيد والرحمة المهداة للعالمين ، ولأنه ﷺ جاء بآخر الرسالات فقد تكفل الله عز وجـل بحفظ هذا الكتاب ولم يستحفظ الناس عليه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقـــال عز وجـل : ﴿ **إنـا نحن نزلنـا الـذكـر وإنـا له لحافظون** ﴾ . هكذا أعلنها الرب وطمأن هذه الأمة أنه قد تكفـل بحفظ القرآن الكريم ، ولأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمـرسلين فقـد تكفل الله سبحانه وتعالى بعصمته من الناس ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ وشهد له رب العزة والجلال بأن ما يأتي به إنما هو وحي يوحى ، فقال عز وجل : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ .

هكذا حفظ الله عز وجل كتابه ، وشهد لرسوله ﷺ بالعـظمـة ، وعصمه وكرمه وأكرمه ورفع له ذكره ، ومع ذلـك فقد نبهنا إلى أنه بشر وأنه خير من عَبَدَ اللّهَ عز وجل ، وخير من دعا إلى عبادة الله عز وجل ، ثم أوضح مكـانتـه عنـد ربـه ، وأمـر الأمة بأن توقر هذا الرسول وأن تحبه وتثني عليه في حدود ما أمر الله عز وجل ، ولعل من المنـــاسب لهذا السياق أن نشـير إلى أن الصحـابـة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا أعظم الأمة توقيراً وتعظيماً ومعرفة بقدر رسول الله ﷺ ، وقد حكى شعراء النبي ﷺ كثيراً من الثناء عليه ، والمدح له ، والإشادة بفضله ، فمن ذلك ما قاله حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ :

يا ركن معتمِدٍ وعصمةَ لائذٍ
وملاذَ منتجعٍ وجار مجاورِ
أنت النبي وخيرُ عصبةَ آدمٍ
يا مَنْ يجود كفيضِ بحرٍ زاخرِ
ميكالُ معْكَ وجبرئيلُ كلاهما
مددٌ لنصركَ من عزيزٍ قادرِ

وقال حسان يمدح النبي ﷺ :

وأحسنُ منك لم تر قط عيني
وأجملُ منك لم تلدِ النساءُ
خلقتَ مبرأً من كلِّ عيبٍ
كأنك قد خلقْتَ كما تشاءُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

أنت النبي ومن يحرمْ شفاعتَهُ
يوم الحساب فقد أزرى به القدَرُ
فثبت الله ما آتاك من حَسَنٍ
تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

وقال أيضاً :

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدَتْ
بأنه خيرُ مولودٍ من البشرِ
عمت فضائلُه كلَّ العباد كما
عم البريةَ ضوءُ الشمسِ والقمرِ

ولو ذهبنا نتقصى ما قاله الشعراء في مدحه والثناء عليه حياً ، وفي رثائه وبكائه ميتاً ، وفي الحنين إلى ذكراه وآثاره وأطيافه لملأنا من ذلك عشرات الصفحات .

وقد سار كثير من الشعراء في العصور الإسلامية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتلاحقة على خطى شعراء النبي ﷺ ، فعددوا فضائله وتغنوا بأخلاقه ، وتحدثوا عن حبهم له وتمسكهم بدعوته ، كما تحدثوا عن خصائصه وشمائله ومعجزاته ، وبلغوا في ذلك شأواً بعيداً من الإجادة والإبداع ، ولو ذهبنا نتقصى ما قاله الشعراء في ذلك لما اتسعت له آلاف الصفحات .

ولعل أصدق من أثنى على رسول الله ﷺ ومدحه البوصيري الشاعر المحب الفذ في بردته الرائعة التي زادت أبياتها على مائة وستين بيتاً ، وهي إحدى روائع المديح النبوي التي حفظتها ورددتها ملايين المسلمين على مدى أكثر من سبعة قرون ، وما تزال ،والبوصيري خير من بين لنا بدقة كيف نثني على رسول الله ﷺ في بيته الرائع :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

ودعونا نستعرض بعض أبيات هذه القصيدة الرائعة :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمـــد سيدالـــكـــونـــين والـثـقـلين
والـفـــريقـــين من عرب ومن عجـم
هو الحبيب الـــذي ترجى شفـــاعتـه
لكـــل هول من الأهـــوال مقـتـحـم
فاق الـــنـــبـــيينَ في خلقٍ وفي خُلُقٍ
ولم يدانـــوه في علمٍ ولا كرمِ
دع ما ادعـتـــه الـنصـــارى في نبيهمِ
واحكم بما شئت مدحـاً فيه واحتكمِ
وانسب إلى ذاتـــه ما شئْتَ من شرف
وانـســب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضـــل رســـول الله ليس له
حد فيعرب عنـــه ناطـــق بفـــمِ
فمـــبـــلغ الـــعـــلم فيه أنـــه بشرٌ
وأنـــه خير خلقِ الـــلَّهِ كلهـــمِ
أكـــرم بخـــلق نبـــي زانـــه خلق
بالحـسـن مشـتـمـــل بالـبشر متسمِ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كالــزَهــرِ ترفٍ والــبــدر في شرفٍ
والــبــحــر في كرم والــدهــر في همم
كأنــه وهــو فرد في جلالــتــه
في عسـكــر حين تلقــاه وفي حشـم

جاءت لدعــوتــه الأشجـارُ ساجـدةً
تمشي إلــيه على ساقِ بلا قدمِ
ومــا حوى الغــارُ من خير ومن كرمٍ
وكــل طرفٍ من الكفـارَ عنـه عمي

فالصـدقُ في الغـاروالصديقُ لم ير ما
وهــم يقــولــون ما بالـغــار من إرم
ظنــوا الحـمام وظنـوا العنكبـوت على
خير الــبرية لم تنــســج ولم تحم

وقــاية الله أغـنـت عن مضــاعفــة
من الــدروع وعـن عال من الأطـم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تنكـــر الـــوحـي من رؤياه إن له
قلبـــاً إذا نامـــت الـعينـــان لم ينـم
تبـــارك الله ما وحـــي بمـــكـتـسـب
ولا نبـــي على غيب بمـــتـــهـــم
وأحـيت السنـــة الشهبـــاء دعـــوتـــه
حتى حكت غرة في الأعصر الـــدهم

وقـد ظل التـطلع إلى مدح النبي ﷺ حلماً يداعب أحلام شعراء الإسلام على مر العصور، وأملاً عزيزاً ترنو إليه أبصارهم، منذ أن بدأ هذاالفن على يد كبار شعراء الصحابة رضوان الله عليهم.

ومنذ أن بدأ فن المديح النبوي على يد حسان بن ثابت الأنصـــاري ـ رضي الله عنـه ـ وحتى اليوم نجـد مئـات الشعراء الذين انضووا تحت هذا اللواء، وبلغ بعضهم الذرى العالية..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد جاء قبل الإمام البوصيري وبعده الجم الغفير من الشعراء على تفاوت في الدرجات ، وتتبوأ بردة البوصيري ـ رحمه الله ـ واسطة عقد المدائح النبوية الشريفة ، وقد حازت منزلة رفيعة جعلتها محط أنظار شعراء المديح النبوي في محاكاتها والنسج على منوالها ، وكان شوقي ـ رحمه الله ـ مجلياً في قصيدته التي سماها (نهج البردة) وهي القصيدة التي مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

ولشوقي قصيدة أخرى قلد فيها البوصيري في همزيته التي مطلعها :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وها نحن نختار بعض الأبيات من همزية شوقي رحمه الله التي مطلعها :

ولـدَ الهـدى فالكـائنـاتُ ضياءُ
وفـمُ الـزمـانِ تبـسـمٌ وثـنـاءُ
بك بشرَ اللَّهُ السماء فزينتْ
وتـضـوعـتْ مسكـاً بك الـغَـبْراءُ
يومٌ يتـيهُ على الـزمـانِ صبـاحُـهُ
ومـسـاؤهُ بمـحـمـد وضـاءُ
يا منْ له الأخـلاقُ ما تهوى العُـلى
منهـا ومـا يتـعـشـقُ الـكـبراءُ
زانتـك في الخلق العـظيمِ شمائـلٌ
يغـرى بهنَّ ويولـعُ الـكـرمـاءُ
فإذا سخـوْتَ بلغْتَ بالجـود المدى
وفـعـلْتَ ما لا تفـعـلُ الأنـواءُ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا رَحِمْتَ فأنت أمٌّ أو أبٌ
هذان في الدنيا هما الرحماءُ
يا من له عز الشفاعةِ وحدَهُ
وهو المنزهُ ما له شفعاءُ
عرشُ المهيمنِ أنت تحت لوائه
والحوض أنت حيالَهُ السقاءُ
صلى عليك الله ما صحبَ الدجى
حادٍ وحنت بالفلا وَجْناءُ

وهكذا فمن أراد أن يمدح ويثني فليمدح بما شاء وهو يعلم أن رسول الله ﷺ هو نبي التوحيد وهو بشر ونبي مرسل ، وقد ظلت الأمة على هذه العقيدة منذ بزوغ فجر الإسلام تكرم هذا الرسول وتحبه وتثني عليه ، ولكن تعلم أنه عبد من عباد الله ، ولهذا لم يحدث قط أن عبد هذا الرسول ﷺ لا في حياته ولا بعد مماته ، وهذا من فضل الله عليه وعلى الأمة الإسلامية ، فسبحان من عصمه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحفظه ورباه وأدبه، حتى كان على خلق عظيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم ، وقد ظلت سيرته ناصعة نقية معروفة إلى يومنا هذا .

فالحمد لله الذي جعلنا من أتباع محمد ومن أحباب محمد ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على هذه العقيدة السمحاء ويجعلنا من أحباب المصطفى عليه الصلاة والسلام وآل بيته الطيبين وصحابته الكرام الغر الميامين والحمد لله رب العالمين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	٥
حياته الشريفة	١٢
بشر مثلكم	١٣
الأنبياء دعاه إلى التوحيد	١٥
كيف عبدت الأصنام	١٧
فتنة بني إسرائيل بالعزيز	١٨
فتنة النصارى بعيسى عليه السلام	١٩
اختار العبودية	٣٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تواضعه ٣٣
صبره على الأذى ٣٦
لاتطروني ٣٨
العبودية لله أعظم صفاته ٣٩
تحذير وعتاب ٤٢
التوحيد أساس الإسلام ٤٥
تحذيره أمته من الشرك ٤٧
منعه أن يسجد له أحد ٤٩
بعض معجزاته ٥٣
ومن عظيم معجزاته ٦٠
كل هديه تأكيد على التوحيد ٦٧
وبعد ٧٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب: ١٠٩٣٢ - الرمز: ٢١٤٤٣ -
ت: ٦٦٥٢٤٠٦ / ٦٦٥٩٩٥١ / فاكس: ٦٦٥٩٤٧٦

طبع بمطابع المجموعة الإعلامية ☎ ٦٦٠١٠٧٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com